الافتتاحية

تنوعت مؤلَّفاتُ آباء الكنيسة في موضوعاتها، فكتبوا عن العقائد الإيمانية، وفَسَّروا الكتاب المقدس، وأعطوا التوجيهات الروحية والنسكية، ونظَّموا العبادات والصلوات، ووضعوا القوانين والشرائع. تباين أسلوبُهم نثرًا وشعرًا، وتعدَّدت القوالبُ الأدبية التي وضعوا فيها كلامهم. وفي كل ذلك كان كلامهم دائمًا عن الله، وكان هدفهم دائمًا الإنسان: خلاصه وحياته الأبدية.

كان دفاعهم عن سِرِّ الثالوث ولاهوته دفاعًا عن فداء الله للإنسان وتأمينًا له، وكان كلامهم عن الروح والنفس والنُّسْك يرسم طريقًا لإعداد الإنسان لإدراك سِرِّ سُكْنَى الله في البشر والتمتع بالأبدية على الأرض. ظاهر الكلام هو الله وباطنه هو الإنسان.

لم يَدُر بخَلَد أحد من آباء الكنيسة أن يؤسِّس عِلْمًا، أو يجمع لنفسه مريدين وقُرَّاءَ، أو يُفْحَم كائنًا ما بقوة المنطق أو سحر البلاغة. كانوا يكتبون ويعظون ويدافعون ويحاورون لصالح الإنسان، كل إنسان، لكي يُحْضِرُوا كلَّ إنسان كاملاً في المسيح يسوع (كو ١:٢٨). تكلَّموا عن الله كدواءٍ لنفس الإنسان، وشفاءٍ لها وراحة. دافعوا عن حرية الإنسان في الاختيار، وأعلنوا له النعمة التي ستؤازره، وكرزوا له بالغفران الذي ينتظره، وبَشَّرُوه بالأبدية المُعَدَّة له.

بهذه الروح علينا أن نقرأ ما كتبه آباءُ الكنيسة، ومن هذا المنطلَق علينا أن نفهمه، فلا هدف من وراء كلامهم إلا استنارة الإنسان ليسعى نحو الله في المسيح يسوع. فليس اللاهوتي مَن كتب عن الله، ولكن اللاهوتي مَن عاش مع الله.